
النهضة الشرقية الحديثة

وأظهر مظاهرها

من عشر سنوات

في القنط

مختارات من استثناء للمقتطف

تم سنة ١٩٢٦ — ونشر سنة ١٩٢٧

ترجمه الشرق من محمود

للشيخ مصطفى عبد الرازق

أظهر مظاهر النهضة الشرقية الحديثة في الشرق الأدنى هي النهضة الفكرية التي أوجز الشرق عن جمود والتي هي أساس لكل نهوض

بدأت مظاهر الجمود العلمي في الشرق ، حين عدا على الشرق الجمود ، من وجهين :
أحدها — صنع العلوم كلها بصفة واحدة ، والذهاب بآياتها جميعاً إلى وجهة دينية ، ليست هي الغاية التي تتجه إليها العلوم بطبيعتها

فلم العروض الفرض منه أن تعلم أن القرآن الكريم ليس بشعر

وعلم الحساب تعرف به تقسيم الموارث على النظام الشرعي

وعلوم الحياة وأنتك تهدي بها إلى النبذة وموانيت الصلاة

والفلسفة يراد بطلها الرد على ما تضمنه من آراء مخالفة للدين

والامر على هذا التوالى في سائر العلوم

ولاشك ان توجيه العلوم في هذا الاتجاه ضيق دائرتها وأحرف بها عن مذاهبها ، ووقفها

عن التقدم ، وومعها في تواعدها وشواهدها وأغراضها بسمة خاصة هي حمة الدين التي لا تشمل

كل ما يشمل حرية البحث العلمي من فروض وتجارب وشكوك

والوجه الثاني — تقلب الاسلوب الديني على اساليب النظر المنطقي في جميع مناحي البحث ،

وهو متصل بالوجه الاول

الدين يمتد على نصوص مقدسة مصدرها الوحي الالهي ، ولكن جهد التفكير الانساني فيها هو قهومها وتأويلها ، والناس حكم ودؤيدات من جانب العقل لما جاءت به .
 أما البحث العلمي فهو يتناول الاشياء والحوادث والمقولات ، يحلل مركباتها ، ويؤلف بسائطها ويستقري جزئياتها ، ويصل بين عطلها ومولولاتها
 هما اسلوبان متباينان ، قد لا يستحي الانسان عنهما ، لكن لا يجوز له ان يخلط بينهما
 على ان انحطاط الشرق ، وتقاصر الهمم فيه ، وارتيك العقول ، وفقدان روح الحرية
 والاستقلال ، كل اولئك خلط بين الاسلوبين بل بما أحدهما ، واصبحت العلوم ديناً محترماً خصوص
 المؤلفين السابقين فيه كما محترم الكتب المترلة ، ولم يبق للاحقين الا أن يندارسوا ما كتب
 الاولون ، ويخدموه بشرح او حاشية او تقرير
 وهكذا جرد العقل وجد العلم وجد الدين



ثم جاءت النهضة العلمية الحديثة في الشرق ، تقصّل بين العلوم الدينية والعلوم الدنيوية ،
 وتخصّص اساليب البحث العلمي من الاسلوب الديني
 نشأت هذه النهضة في مصر باصطحابها بالمعارف الغربية ، فقد جاء مع (بونابرت) علماء كانت
 آثارهم بزوراً لم تذهب كلها بتماماً
 وارسل محمد علي الكبير الى اوربا بثبات علمية احتارها من الازهر . فنهت متينة باخلاقتها
 الدينية وتطبعها الازهري ، وعادت أشد مائة وأوفر كفاية بما كتبت من معارف جديدة ، وبما
 عرفت كيف تقصّل بين وجهة النظر الديني ووجهة النظر العلمي
 اخذوا يضعون في ضروب من العلم مختلفة ، وولفات ليست متوناً ولا شروحاً ولا حواشي
 ولا تقارير ، وليست على ذوق الدينين وما ألفوا من أساليب وأخذوا يترقبون خير ما عند
 الفرنجة من كتب في الفنون التي درسوها . وبهم يرجع الفضل في النهضة العلمية الحديثة
 وقد وصل اثرهم الى المعاهد الدينية قسماً ، التي نشأوا فيها نشأهم الاولى ، فنبه اهل تلك
 المعاهد الى صنوف من العرقان لم يعرفوها ، واساليب من التفكير والبحث والبيان لم يلقوها
 واذا كان ذلك مما أثار كفاحاً بين الجمود الذي لا يريد تغييراً والثبوس الذي يريد ان يحل
 العلم من عقالة ، ان يجعل لدين سبيله خائصة ، فهو قد أنبت بين الدينين انفسهم فكرة اصلاحية .
 وأنهم من بينهم . صلحين يسلمون على تقرير حرية العقل واعتبارها عاجية به الدين
 وكانت خدمة هؤلاء الصلحين للدين والعلم خدمة جلية بما أيدوا حرية العقل من وجه ديني

وبما حسمو اصاب عداوة بين الدين والطم كان رجالٌ يثرونها في نفوس الجماهير حرباً مدعرة
 خدم هؤلاء المصلحون دينهم ، اذ ودّوه الى بنايعه الصافية ، وجرّدوه من التشويه
 والحسف ، وأبرزوه كما أزلهُ اللهُ من السبأ نقيّاً حراً سمحاً كريماً
 وخدم هؤلاء المصلحون النهضة المليية في مهدها ، وصانوها من طينان المجاهدين ، وردوا
 عنها كيد الكائدين

ولقد كان الامام محمد عبده يهتف في الناس بكل ما أوتي من قوة الايمان وقوة العقل ، ان
 ليس من الدين ان يرعى بالكفر اهل النظر العتلي وان زلوا ، فاعامهم يطيقون الله في تحريك
 عقولهم « ويتفكرون في خلق السموات والارض ، ربنا ما خلفت هذا باطلاً ، سبحانه »
 اما الذين جاؤوا بمد الشيخ محمد عبده يقذفون كل مفكر بالكفر ، فأولئك في ايمانهم
 ضعف وفي عقولهم

ومن العوامل التي لها في نشر الحركة المليية في الشرق أثر مساعد العلم التي انشأها الاجانب
 ولئن كان في كثير منها منازع مؤذية ، فقد تضاعف كل اثر لها غير صالح الى جانب اثرها
 العلمي ، فن العلم يابن بطبعه الا ان يكون شعراً عمرة خير
 ومن قبل ما قال ابنزالي : « طلبنا العلم لغير الله فأبى الا يكون لله »

وقد نشأت الصحافة مع نشأة النهضة المليية فكانت تظهرها قوة وضمناً وتأثرت بها وآثرت فيها
 لكن الصحافة كثيراً ما تراعى هوى الجبهة من قرائها ، وكثيراً ما يكون هوى العلم
 غير ما نهى الجماهير

يد ان مجالات علمية نشأت في مهد علمي وحملت لواء العلم ، قد ادت للعلم احسن خدمة بتيسيرها
 مباحثه المويضة ، ومنازلها على بيت التفكير العلمي ، والمبادئ المليية وقد كانت ولا تزال ، مدارس
 صالحة لطوائف من المسلمين لا يتبها لها ان تسير حركة الرقي الفكري في العالم الا من سبيلها

واذا ذكرت النهضة المليية في الشرق بالادنى وذكر الصارها فالمقتطف جدير بان يحمل
 راية سبق في هذا الميدان

خمسون عاماً من اعوام الجهاد في خدمة العلم وحرية الفكر في الشرق ينظمها الدهر فوق
 حين شيخ المجالات ، لإكليل مجد ونفاز

طرويع التفكير الحر

لسامي الجريديني الخامس

في التاريخ نهضات كثيرة منها ما كان سياسياً نقل السلطة من يد إلى أخرى ومنها ما كان اجتماعياً قضي على نظم موروثية وتقانيد معبدة ومنها ما كان أدبياً غير نظام التفكير وذلك العقل من قيوده

نهل عندنا في الشرق مثل هذه النهضات ؟ أو بالأولى مثل هذه الثورات ؟
ولماذا تقول النهضة في «الشرق» . أي لا أحب هذا التسميم — فاهو الشرق ؟ ومن هم الشرقيون ؟
ولماذا لبروراء هذا التسميم القديم الاعمي قنصل العالم إلى شرق وغرب
قف امام خارطة العالم واجعل اعلاها شمالاً واسفلها جنوباً وبينها شرقاً وغرباً ترى
مصر مع أفريقيا في الجنوب لا في الشرق . بل أنت ترى أوروبا كلها شرقاً اذا قيست بأميركا
الآية خطر لقدماء الاغريق ان يقسموا العالم إلى شرق وغرب يجب ان نبرهن
وراء هذه القصة

انها ليست على شيء من حقيقة الجغرافية

وهل يصح ان تكون نحن شرقيين مثل اليابانيين والصينيين وبعثدا عنهم جنكاً وديناً
بمد ما بين السماء والارض . وهل يصح ان يكونوا اقرب إلنا منا إلى اليونان والبطار والبيان
ويتنا وبين هؤلاء ربط عديدة لا تجدها بين الصين ومصر مثلاً

أو نقصد إلى القول بأن النهضة في مصر زعمي إلى انحاء الحجاز والراق وفلسطين وسوريا
وتركيا وما إلى هذه البلدان التي مجتصها جامعة قديمة

الحقيقة اننا لانجرو على القول بالقومية بعد . اننا لانحسر ان نقول ثورة مصرية او ثورة
سورية او ثورة تركية قسم ونقول شرقية كما قلنا فنجد بعد التفكير تفكيراً قومياً لخدائنا عهدنا
بمثل هذا التفكير . اللهم إلا الاتراك فقد ساروا على غير ما تسير نحن عليه ولعلم شدوا الرحال
في سبهم شديداً سريعاً قد لا يكون ممدوح العاقبة بعد ما بين العرض الذي يرمون إليه وتاريخ

عنصرهم المعروف . ولكنهم في نظري الشعب الشرقي الوحيد الساثر الى غاية محدودة على طريق محدودة — لذلك يصح لنا بحق ان نقول « نهضة تركية » فانها ثورة سياسية واجتماعية ثأرها مايتها لكل الثورات — زعيم بقود رامياً الى غرض وسير حيث ان هذا الغرض وجهاد مع اجنبي اثار فيهم روح القومية باستغزاز عواظهم وهكذا سبيل الشعوب في تكوين قوميتها . دع ضك ما على هذه النهضة من استفاد ليس هنا محل البحث فيه

اما في ما سوى ذلك فابن النهضات في « الشرق » اذا ملنا جدلاً بهذا التسميم الذي يفصل العالم الى شرق وغرب

نحن من الذين يعتقدون ان الحضارة الغربية خير الحضارات التي يتعين علينا اقتباسها كما اتنا من الذين ينظرون الى الامر الواقع فيرون انها هي الحضارة السائدة العالم ونحن من الذين يعتقدون ان طريق نجاحنا في مسألة هذه الحضارة وتكييف حضارتنا عليها تكيفاً لا يناقضها بل يماشيها ذلك ان التاريخ يقص علينا قصص اصطدام الشرق بالغرب منذ الضور الاولى حتى الساعة فانص الأحدث اصطدام كانت نهاية انهزام الشرق امام الغرب — فالعالم من اعتبر وعرف ان يتلمس طريقاً غير طريق جريته فقادته الى مواطن الخطر

ونحن من الذين يعتقدون انه لا بقاء لنا في معترك الحياة الدولية الا اذا كونا قوميات شرقية مستقلة مثل القوميات الغربية فكما انك لا تطمع في تكوين شركة تجارية او جمعية ادية الا اذا عززت على « شخصيات » مستقلة هي افراد الرجال كذلك لن نكون اهلاً لدخول المجتمع المتقدم ان لم تكن لنا شخصية صحيحة وهي القومية بما تميزه هذه القومية من معاني وما تعرضت من تبعات وحقوق

فلبست الحضارة الغربية لباساً يرتدى اولفة برطن بها بل هي اساس عميق للحرية : حرية الفكر والقون والعدل ، وبماه شامخ للنظام : النظام القائم على هذه الحرية
فهل عملنا على اقتباس هذه المدينة ؟

انني على الرغم مما يرب من التشاؤم عند ما ادرس تاريخنا القديم وعند ما انظر الى حاضرنا ، اني على الرغم من ذلك اظن اننا وقد احتكنا مكرهين بالغرب قد بدأنا ثورة فكرية لا بأس بها فالتفكير الحر اساس كل نهضة سياسية كانت ام اجتماعية . ولا نسل عما يؤدي اليه هذا

التفكير . لا . دعهُ يسير . فهو يقاوم ويُقاوم وتضطدم حريتهُ بحريات اخرى وهكذا الى ان يتمّ انصر للتفكير الصحيح

فما لاشكّ فيه ان جرنومة التفكير الحرّ بدأت في مصر وفي سوريا منذ نيّف وخمسين عاماً — بدايةً بكتّابٍ فكروا تفكيراً حرّاً صدم ما في الجماهير من عقيدة موروثية فوضوا في سبيلها ولكن الفكرة نمت فجاءت بتقوم قاوموا استبداد الحكام في عز جبروتهم الطاغى ورفضوا في وجه رجال الدين يعنون عليهم جهلهم لما زالت حتى زحزحت ما كان لتقوم من مقام على ان التفكير الحرّ في مصر وسوريا لم تتح له عوامل سياسية تساعدُ

فقد كان اختلاف الحكام في اوربا وتضارب مطامعهم السياسية مما جعل بعضهم ينصر لوثور في اصلاحه وبعضهم يشجع الهوجوت وبعضهم يحمي ثولير وهكذا وجد المفكرون الاحرار الفقراء من يأخذ بأيديهم على غير قصد فاروا يحملون شعله فكرهم الى ان حرقوا المهشم القديم

اما عندنا فقد اتفق فيما مضى الجمهور مع حكامه المتبدين فكانوا يقاومون كل تفكير حرّاً ايما ظهر

ولكنه على الرغم من هذا ظلّ حياً وها قد بدت طلائمهُ تظهر ظهوراً لم يهدئه من قبل فهل يتمّ له انصر او يظلّ محصوراً في دائرة ضيقة كما كان في الماضي فلا يتم ولا يعيش ؟ لا اعلم ان تاريخ اضطهاد التفكير الحرّ تاريخ مجيد . ومجدهُ حاج يلبسه كل هؤلاء الذين اضطهدوا وعذبوا وحوككوا وسجنوا في سبيل تفكيرهم

وها قد ذهب الآمرون بالتعذيب والناهون عن الحرية ولم يتبق الا ذكرى الابطال — ابطال المفكرين تفكيراً حرّاً

فان نحن اجتزنا العبة وعبرنا السيل كما عبره اسلافنا المفكرون الاحرار غير مباليين بما تلاقيه من اضطهاد او عقاب فاما نكون حفاً قد وضنا الاساس المتين ونكون قد مهدنا الى نهضة اجتماعية وسياسية تأتي بأسرع مما نظن فندبوا مكاتنا في مجتمع الحضارة الصحيح

فالحرية اساس كل بناء في حضارة جديدة بأن تعيش . فاذا قام شعب نهضة سياسية لا تكون الحرية اساساً فيها فلن تكون تلك النهضة الا قلناً غايتهُ التخلص من نير الى نير ونقلنا للحكم من يد الى يد اخرى — وهذا ما نعوذ بالله منه

مربية الآداب

لباس محمود العقاد

ما هي النهضة؟ هي الخروج من حالة الجمود إلى حالة الحركة، أو هي الانتقال من المحاكاة والتقليد إلى عهد الاستقلال والحرية. فإذا أردنا أن نفهم نهضة بقيمتها الصحيحة فنبحث عن دلائل الحرية فيها ثم النهضة وثم يكون أظهر مظاهرها

يدأني أقسم الحرية إلى نوعين: نوع أسمى الحرية المادية وأعني به الحرية الاضطرارية أي الحرية التي لا تكون أحراراً في طلبها بل نضمد اليها بكرهين مدفوعين بحكم الأحوال القاهرة وبواعث المعيشة، وتلك حرية ناقصة ستودة لانها حرية من لا حرية له في الاختيار فإذا تبدلت أحوال المعيشة فصارت بنا طاداتا وعقائدنا في أحوالنا الجديدة فمرنا بها وقضائنا عنا فتلك حركة مباركة وحرية طيبة ولكنهما على هذا حرية تملوفا حريات ومنزلة لا تقبض الايم على الوعوف لديها وليس بصعب عليك أن ترى شيئا لها في الحيوان يضيق به الحبس فينتلق منه أو يتقل عليه للقيد فيما يج كره أو في الجماد يتقدم لانه لا يستطيع أن يقف مكانه أو يتحرك لانه محمول على الحركة ونوع آخر هو الحرية الروحية أو هو الحرية التي لا تدفك اليها الضرورات المألوفة والمطالب السوية وإنما تدفك اليها اتساع أفق النفس وسمو صفاتي الحياة والطموح الى غايات من الرقة والجمال يتانتها الانسان الكامل وهو موقور الجسد مكفى المؤنة. فهذه الحرية هي الحرية النفية العالية وهي مقياس النهضة الشريفة وقضية الانسان على سائر المخلوقات، وهي الحرية التي ترجمتها الادب والفنون والفلسفة الروحية وما اليها من التيارات «الجميلة» عن اشواق الحياة ولقد سألتوني: «ما هي أظهر مظاهر النهضة الشرقية الحديثة وأبقى آثارها؟» فأري اذن أن أظهر مظاهر نهضتنا واتي آثارها هو «حرية الآداب» أو هو حركة التجديد في الشعر والكتابة والفن لانها الحركة التي لا تتقيد بمحاكاة قديم ولا بمحاكاة حديث، ولانها ترجمان تلك الحرية التي نحن احرار في طلبها بقدر ما يكون الانسان حراً في هذا الوجود، وليست ترجمان حرية نحن مدفوعون اليها بدواعي الاضطرار أو الكسيف والمطالب التي يشهنا فيها الحيوان وقد يبرجلنا مثل في الجماد على ان هذه الظاهرة — بد — ضعيفة الاثر قليلة المحصول، فإذا هي بثقت أشدها وأوقت على تمامها فهناك تبحث في الشرق عن جميع ظواهر النهضة التي عرفتها الامم فلا يميزك منها دليل، بل هناك لا يميزك حتى الدلائل على النهضة «المعيشية» التي تعوزنا الآن لاننا نتمشى مع البواعث الوعوية مسخرين خطوة بعد خطوة ولا نتمت الى الحرية بشوق في النفس وحب للجمال. فالحقيقة اننا اليوم لانضارع غيرنا في الاختراع والابتكار ومجارات حاجات المعيشة لاسباب خلاصتها انهم يهتمون الجمال ونحن لا نهم الجمال، لا انهم خلقوا بمعدات وأعضاء ونحن خلقنا بنير معدات وأعضاء.

أهبار الثاليد الفريم

للككتور باررد ضدج

رئيس جامعة بيروت الاميريكا

منذ بضع سنوات نقيت علناً عريثاً من علماء الهيئة ، اتبعت معارفه من كتاب القرون الوسطى وبنى على كتاباتهم آراءه في حلقات زحل وأقمار المشتري وعدد النجوم الثوابت والقوهات البركانية التي تبدو على وجه القمر ، وكانت هذه الآراء مبنية على مقام الكتاب الذين فاهوا بها ومقام تلاميذهم الذين تاملوها على مرّ العصور ، ولم يكن للقرن والبحث العلمي نصيب ما في تكوينها

وفي أحد الايام زارنا في جامعة بيروت الاميريكية فذهبت معي في المساء إلى مرصد الجامعة وفيه مرقب قطر بلورتيه ١٢ بوصة، نشاهد بأم عينيه بواسطة هذا المرقب ، أقمار المشتري ومحاسن النجوم التي كشفت حديثاً وأثبتت وجود عوامل في الفضاء اللانهائي لم تكن معروفة قبلاً وشاهد أيضاً القوهات البركانية التي على وجه القمر وغير ذلك من غرائب الافلاك

فأنشأ بمخبرتي حينئذ كيف انتضت عليه سنون والفلسفة رائده في درس هذه الظاهران الطبيعية ووصف مقدار سروره لانه أتيجت نه فرصة ليرى حقيقتها بعينه. في لحظة واحدة امتل مركز الساطة الفكرية لديه من كتاب القرون الوسطى إلى ما كشفته آله عليه حديثه وعرفت رجلاً آخر من لبنان تلقى العلوم اللاهوتية في حدائيه وجعل ما جاء في الكتب الدينية أساساً لمتدده وإيمانيه . وكان راسخ الاعتقاد بيوم الدينونة، ويوجد «سماه» و«جهنم» وكان لشدة إيمانيه تدفق حين الوعظ بآيات الكتاب حتى أصبح في بلدتيه عذماً يدعو الناس إلى الهداية والخلاص . ولكنهُ احتاط بكثيرين من رجال العصر وشبابه فأخذت تطرق إليه شكوك وريب فذهب نفسه المطمئنة . أخذ يرتاب في محويات الكتب الدينية كلما ازداد تصمناً في درسها ، وأخذ يبحث عن الحقيقة في مكان آخر . ولما فقد ثقتهُ في صحة الوحي زرع إيمانيه وبردت منه وضعت قوته عن دعوة الناس ورددتم إلى التوبة والخلاص وحاول أن يجد أساساً جديداً لإيمانيه فلم يفلح ولبت ينكم في الظلام

فندي أن أظهر مظهر في الهضة الشرقية الحديثة هو أن الناس أخذوا يفقدون ما لهم من

الثقة في تقاليد آباؤهم كقاعدة لمعتقداتهم الدينية والادبية ودليل لسلوكهم وانهم اخذوا يحثون عن اساس بحر هذه المعتقدات

لما اندلعت أسنة الوب في أزمير تيل استيلاء الاتراك عليها سنة ١٩٢٢ هرب كثير من سكانها إلى اثنياء. وقفوا هناك على الحد بين البر والبحر يشاهدون يومهم وكل ما فيها من عزير لبيهم تالة يد الفناء ، ورأوا الثيران تهم كل شيء حتى لقد كانوا في خطر منها على التياب التي يردونها فندفهم اليأس إلى الماء يسبحون الى المراكب التي في المرفأ أو خارجة لهم يصلون الى مركب ينشيم. ولكن المراكب والسفن كانت مزدهجة باللاجئين اليها ، فالهبوا الامواج حيناً حتى وهت قواهم وأبتعضهم الفجع

هكذا يرى كثيرون من الناس أن التقاليد والمعتقدات القديمة التي قدمها آباؤهم وجرروا عليها تهازل إلى الخيض انياراً سريعاً يهدم بهم معتقدتهم الشخصي. فيندفمون مدبرين عنها يحثون عن اساس جديد لمعتقد جديد فبئس ككثيرون منهم في الظلام ثم يهبطون الى هوة الشك أو يفترون في حجة « المادية »



وهذا المظهر من مظاهر النهضة في الشرق لا يقتصر على مذهب دون مذهب أو على جنس دون آخر ، لأن الثوار في روسيا تقضوا الكنبية والعائلة وغيرها من أركان الحياة الدينية والاجتماعية . واليوذيين في الصين أخذوا معايدهم من الخائيل لكي ينشروا فيها مدارس علمية حديثة . ومنذ بضعة أسابيع كنت في تركيا فشهدت فيها بعيني ، القيود القديمة التي كانت تقيدها للمرأة ، والاحترام لرؤساء الدين ، والايمان بالوحي الالهي — شاهدت كل ذلك ينهار أمام المذاهب العلمية الجديدة وحرية الحياة الاوربية

وفي البلدان الغربية نرى كثيرين من الرجال والنساء الذين لا يهتمون باحترام التقاليد والعادات والاعباد التي أحبا آباؤهم وجرروا عليها . كذلك نجد جهلاً معيماً بأقوال الكتب اثنائية وأعراضاً عن الصلوات العامة وفي الوقت نفسه ترى ازدياداً في تعاطي المسكرات وانتشار الآفات الاجتماعية . وسيلاً الى احلال السرور والملاهي محل التقاليد القديمة المحترمة . وزاد في اثر ذلك ونوع الحرب وتحيش الحيوض واقشارها في مختلف البلدان

ففي الحين الذي نرى فيه افراد الجيل الجديد يدبرون عن معتقدات آباؤهم القديمة تراهم ايضاً يقولون على الفيلسفة القديمة الفاتمة « تأكل وتشرب لا تاغداً تموت »

مضى على مصر وال عراق و فلسطين و تركيا نحو خمسين سنة ، أي منذ ما الشيء المتنطف وهي

تقطع شوطاً من أشواط انصران يقع بين عهدي للفدنية (الاقطاع) والدمقرطية . اي انقلاب تم في هذه السنين ! ها سكك الحديد والباريات والطائرات والتلغراف والتلفون ، تطوي الابدان الشاسعة حتى كادت تمحوها . وها مذهب النشوء الجديد أخذ العلم بقيمة مقام القول القديم بالخلق المستقل . لقد أثبت باستور أن الامراض تنشأ عن أحياء صغيرة هي الميكروبات . وأصبح الزمن يقاس بسني التور ، والتاريخ بالمصور الطولوجية المتطاولة . وضد الاعتقاد بإمكان حدوث العجائب صدمة شيفة ، وصار الكون آلة تتألف من جواهر وأيونات ، تربطها معاً نواميس طبيعية كشفها البحث والامتحان . في كل هذا يبحث الشبان والشابات عن معبود آباءهم وفي الغالب لا يجدونه . يقولون اذا كانت الارض كرة فأين جهنم ، واذا كان القضاء غير محدود فأين السماء

وقد فازت النساء في كثير من البلدان المجاورة للبلدان الشرقية بحق الانتخاب ، وعليه ترى اخوانهن في الشرق يطلبن التحرر من القيود التي قيدن بها ، القيود المبنية على تمييز بين الرجال والنساء . اذف الى ذلك أن الامم التي تجري على العادات الاوربية في معيشتها اخذت تنتشر في الارض ولها من حيوشها وسائل منظمة لتليل المطامع البشرية



ما اعظم التجارب التي يتعرض لها الشبان والشابات في الشرق . انهم معرضون لفقد ما لهم من الثقة في عادات آباءهم وتقاليد اجدادهم والحجري على العادات الثرية غير عارفين هل هذه العادات نتاج الارتقاء الحقيقي او هي سراب يلعب ويخني وراءه المغاييب

ما من جيل في التاريخ واجه طائفة من المشكلات كالشكلات التي يواجهها ابناء الجيل الحاضر ، وما من جماعة من الفتيان والفتيات وجدت امعها ما يثنيها عن الايمان الصحيح كفتيان الشرق وفتياتها في هذا العصر . وسواء تمكن المتقدمون في السن من قبول الآراء الجديدة والحجري عليها او لم يتمكنوا ، فانهم لا شك يستطيعون ان يعطفوا على الشبان الذين همزتهم هذه الشكوك المؤلمة . وسواء اردنا ان نزيد ، لا نقدر ان نقف سدّاً في سيل تيار ما يسى مدينة وما يحملها معه من آراء جديدة في العلم والاجتماع

وعليه ارى ان اظهر مظاهر النهضة الشرقية الحديثة هو هذا الميل الى هدم التقاليد القديمة كأساس للمستند واللوك . وعملتا هو ان نساعد النشء الجديد ليجد اسماً لمنقذات تصمهم من احتقار الدين وتهودم الى الاحتفاظ بأعلى مستوى ادبي حتى يبشروا بتحقيق الغايات الروحية الزفيمة

في قلوب الترابيع

لامين الرحابي

ان أظهر هذه المظاهر ما يراه كل الناس ، كاللابس الافرنجية ، والاسواق المرصفة والاراتال الكهربائية ، والسيارات ، والابنية التي لا شرقية تُعرف ولا غربية — انها كلها من مظاهر التطور ، وقد نمد من مظاهر النهضة . وما لا مرية فيه اننا غيرنا مادامتا في الملابس والاسفار ، وصرنا فضل الحادة المرصفة على الرمل والشار ، والكهرباء على الحمار . ولا فرق مختارين كنا في ذلك او مرغين

هو التيار الاوربي واتناس اسمه كالرمان في طريق انيل . قاتا وان لذت لنا قراءة الاخبار واستماعها عن اجدادنا منذ خمسين سنة فلا بلد لنا ، ولا نستطيع الا بوثبة نصفها عقل ونصفها جنون ، ان نعود الى ما كانوا يلبسون ويتطون ، ويبنون ويفرشون . على اني اذا تصورت الشيخ ناصيف اليازجي مثلاً والدكتور بقوق صرُوف — الشيخ ناصيف في عمامته وانا زيده ، جالساً على «طراحتيه» يدخن غليونته الطويل وهو يكتب ، والدكتور بقوق في بزته الافرنجية ، مكشوف الرأس ولا غليون حتى ولا سحجة يدهم — تستوقفني الصورة الاولى وان كان قلبي وعقلي يتجهان حباً واحتراماً الى الثانية . نعم ان المسألة ذوقية لا اجنباعية

ولكني اسأل القارىء ان يتصور مؤسس مصر الحديثة ، محمد علي الكبير ، بعلمه البيضاء الوافرة ، او في طربوشه المغربي ، وهو مترجع في ديوانه ، او ممتطٍ صهوة حصانه ، ثم يتصور احد حكام هذا الشرق الاذن اليوم الذين يقيدون افسهم بأربع اذرع من الجوخ الانكليزي او الافرنسي ، ويحلمون في السيارة وهم يدخنون السيكارة — يتصور الصورتين ويسأل نفسه ايها ادعى الى الوقار والاعجاب . أية الصورتين أنعم وأجل وأجل ؟ هذا في الظاهر ، في القياقة . ولا أشير في قلب القارىء الاشجان فأسأله ان يقابل بين مؤسس اكبر النهضات الشرقية العربية الحديثة ، صاحب الطربوش والسروال وبين حكام هذا الزمان الدستوريين

ليست أظهر المظاهر اذن من اركان النهضة الشرقية ، ولا هي برهان على النهضة الثابتة التي فيها رقي حقيقي وضموي

وما هي ياترى هذه النهضة ؟ النهضة في الغاموس الطاقة والقوة ، او هي الطاقة على الهوض

نما نحن فيه الى شيء أرفع منه . ولكن روح الزمان أكسب اللفظة معنى آخر او ظلاً من المعنى جديداً . الي اقمم بالنهضة الثورة على القديم الذي اسمى عقياً ، والقديم الذي صار بائياً ، والقديم الذي كان منذ البدء فساداً ، ان كان في الاحكام ، او في العقائد ، او في الآداب ، او في العلوم ولهذا الثورة مظاهر يراها كل الناس فهي اذن اظهرها ، ولكنها ليست بأهمها . ولها مظاهر لا يراها الا فريق من الناس ، وقد لا يراها غير الخاصة من ذوي الالباب ، وهي في نظري اهمها اما تلك التي يراها كل اتمان ويشارك اليوم فيها ، فيحضر او يكسب في سبيلها ، اما هي هذه الاحكام الدستورية التي حلت محل الحكم التركي القديم . ولكنها في مظاهرها مدعاة لغير الاحترام فلو ماد الوالي الذي كان يحكم بغداد منذ خمسين سنة ، ورأى الملك فيصلاً يلبس « التيس » واصدقائه الانكليز ، هزاً رأسه مبتهاً وهو ينزل ، كي لا يججل صاحب الخلالة ، بين النخيل ولو ماد الحديوي اسما عيل ورأى هذا البرلمان المصري الباهر وحولاء الافاضل المتكئين بالثوب الافرنجي الرسمي — اسود على ايض — وبينهم نطخ من المهام لرفض ان يجلس على العرش المعدلة قائلاً — ايها السادة المسودون اني افضل ان اكون واحداً منكم على ان اتقيد بارادكم كلها ولو تجددت اية احد ولاه الشام وشاهدنا محل بدمشق في السنة الاخيرة لرفع يديه الى السماء شاكرأ شاكرأ كما معاً . وما هي مظالمنا يا رب اذنا قنيت بأعمال المتدينين ؟

ولو أتيج للامير بشير الكبير ان يزور اليوم سراي بيت الدين فيرى من على هذه الجمهورية اللبنانية لضرب الارض بظليوتها ، وماد دافع العين الى قبره .

حكومات جمهورية ديمقراطية واحكام برلمانية اتداية اهي اظهر مظاهر النهضة الشرقية العربية اليوم ، واقلها اهمية ، اذ لا رقي فيها سياسياً او اخلاقياً ، ولا قوة حقيقية او مضمونة . فهل تظنها في هذا الشكل الصناعي — وفق المدرسي التربوي — تدوم طويلاً . لا ورب القوة اذ فاما ان يفوم عليها حاكم من اهل البلاد — حاكم بأمره — وسيفه — مثل مصطفى كمال او ابن سعود ، واما ان ينض الشعب بأمره على اولئك الذين يرومون استثمار الشرق الادنى بواسطة فيصون على دورها البرزين ويوكلون بها النار

وأية مهزلة ، بل أية مأساة اشد من هذه التي يشترك فيها الوطني المزيف ، والاجنبى المزيف ؟ هل تريدون حكومة دستورية ، ومنكأ مقبداً ، وبرلماناً ؟ هاكم ماتريدون . وكلهم

مقيدون ، الملك والبرلمان والدستور . كلهم مقيدون من أجلكم أيها الشرقيون
هي ذي هبة النياسة الاوربية الحرة للشرق الطالب الحرة والاستقلال . هي ذي التعة
التي يطلون بها اليوم هذا الشرق القديم الجديد

ان هناك مظهراً آخر يستحق فضل التفضيل وهو المدارس . نعم ان تعدد المدارس في مصر
وسورية ، وفي العراق ايضاً ، من اظهر مظاهر التهضة الشرقية التي تبدو للبيان فيراها كل انسان
ولبت هي بأهم من الدستور والبرلمان . ليست هي عنواناً — عنواناً في الاقل — للتهذيب
الاخلاقي القومي ، والتهذيب العلمي المالي

والسبب في ذلك هو ان اكثر هذه المدارس لا تزال مقيدة اما ببرنامج ديني واما ببرنامج
اجنبي . او ان اكثرها لا يزال يدرجال الدين الوطنيين منهم والاجانب . وهناك عدد ليس
بقليل من المدارس الاجنبية التي لا يرى مديروها في تاريخ العالم كنه ما هو اهم واعظم وامجد من
تاريخ بلادهم . — شرلمان وركاردوس قلب الاسد ، وبطرس الاكبر هم هم ابطال التاريخ . بل
ابطال العالم : — قل لي يا ولدكم كان عدد ابناء شرلمان ؟ وأهم كان يفضل شرب الخبث على
شرب النبيذ ؟ — وقل لي ما اسم البطل القومي الذي كسر الاناء الروماني ؟ قر تاجودسك . —
حار . اسمة فرسجنا توريكس . انه والله لم يجل . ولا اظن احداً من طلبة هذه المدارس
يعرف اسم طارق بن زياد !

ليست الاحكام البرلمانية اذن ، ولا تعدد المدارس بأهم مظاهر التهضة الشرقية . وان كانت
من اظهرها . ولعسري ان مدرسة مثل مدرسة المعلم بطرس في زمانه لاصح واضع من هذه
التي يتخرج الشبان فيها متفريحين ، لا يعرفون لنهم ، ولا تاريخ بلادهم ، ولما يحترمون غير الاجنبي
ان مظاهر التهضة الشرقية التي لا تستحق اقل التفضيل بالمعنى الذي افصحته عنه ، ولكنها
من الامية في اعلى مكان ، انما هي المظاهر العلمية ، والادبية ، والاصلاحية التي تشتمل مصايحها
على الدوام في قلوب افراد من الناس ، في قلوب نوابغ الامة . هي المصايح ، مصايح العلم والادب
والشعر والفنون ، ترسل اشعها الفضية والذهبية الى قلب المجتمع الانساني ، الى مصدر الحياة فيه
فتير تدريجياً اظلم طبقاته ، واقصى زواياه الدامسة

أجل ان كتاباً واحداً او مقالاً واحداً او فكرياً واحداً فيه حقيقة جديدة مفيدة لتقاس ، ترسله

حرراً في الناس لأشدّ فعلاً وأثبتّهما وأعمّ خيراً من كل ما نجي به الحكومات والمدارس المقيدة عنواً إليها القارىء. قد تسرعت، فاستثبتت، فقلت « المقيدة » ! وما الحكومات على أنواعها غير قيود للناس، وآلات لجمع الضرائب، وإقامة الحروب. أجل. وما فضل الحكومات، مقيدة كانت أم مطلقة، في تاريخ الأمم، أو بالحري في تاريخ الرقي وال عمران ؟ هل سمعت في زمانك أو فرأت ان حكومة من حكومات العالم اكتشفت اكتشافاً، أو اخترعت اختراعاً، أو اقدمت على اصلاح اجتماعي أو سياسي من تلقاء نفسها ؟ أخشى ان تخرجني الحكومات عن الموضوع اذا سألت سؤالاً آخر

أعود اذن الى النهضة الشريعة العربية فأقول ان الفضل الاكبر فيها هو للعالم الذي يخدم العلم من اجل الحقيقة أولاً وآخراً، وللاديب الذي يرفع اديه على ثلاثة اركان هي النوق السليم، والقصد القويم، والخلق الكريم، وللصلح الذي يفادي بكل ما هو عزيز لديه، حتى بحياته، في سبيل صقيدة يتبين ان فيها الخير لكل الخير للناس. وان اجل ما في هذه النهضة، وأثبت ما فيها، هو التفرد من العلماء والادباء، والمصلحين الذين لا يتقيدون بغير الحقيقة، والفن، والضيم. ولا شك ان عددهم أخذ في الازدياد. ولا شك ان من يقرأونهم، ويقبلون عليهم، ويتأقنون اقوالهم وافكارهم، يُعتمدون بالالوف اليوم وقد كانوا منذ خمسين سنة يمدون بالثبات

. ومن تأمّن هذا الازدياد في عدد الذين يتبلون على الادب الجديد، ويظالمون الكتب العلمية والاصلاحية، هو اتيّا اصحنا اكثر طمأ وأكثر احتراماً لنظم من اجدادنا، واكثر تحرية كتابةً وقولاً، واكثر تساهلاً في المعتقدات، وأشدّ ميلاً الى التألف والتضامن في سبيل الوطن اتول اكثر تساهلاً على الرغم من ضجة في مصر أحدثها كتاب في النقد الادبي لاديب من المجددين وكتاب في الاصلاح الديني لعالم من العلماء المصلحين. فلو ظهر هذان الكتابان منذ اربعين سنة لكان السجّان أو الاختيال جزاء الشيخ عبد الرازق والامّاذ طه حين الى الامام ؟

اتاني تقدم. وان الفضل الاكبر في ذلك عائد الى مجلتي المنتطف والملال، والى اولئك الادباء المجددين والمصلحين الصادقين الذين يبذون القديم—القديم العقيم، والقديم البالي، والتقديم بالذي كان منذ البدء فاسداً— يبذونه ويقولون، بلغة المعري أبي الصلاء، عليه بهمة المتباهلين